

# الهجرة النبوية

## وآثارها في الحياة الإنسانية

للككتور وهبة الزحيلي  
رئيس كلية التربية في جامعة دمشق

في مستهل كل عام جديد من اعوام التاريخ الهجري نذكر بكل فخر واعتزاز معجزة الهجرة النبوية الباقية على ممر الزمان - هجرة سيدنا محمد بن عبد الله من وطنه مكة الى المدينة المنورة ، فهي حادث فذ في تاريخ الانسانية ومثل عظيم من امثلة الدفاع عن الحق والحرية ، فلم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفا ولا خورا ولا ياسا وانما هاجر لانه وجد ان الاسلام يعتز وتقوى شوكته في بقعة اخرى من الارض هي مدينة الانصار .

والعدل والتوحيد فهو اي حادث الهجرة بكلمة موجزة منطلق القيم الغالية الخالدة لدى الانسانية جمعاء

وحدثنا عن الهجرة يتناول عوامل النجاح والظفر فيها ، كما يتناول ايضا الآثار والعبر الناجمة عنها التي خلقتها في الحياة الانسانية .  
**أولا - عوامل النجاح والظفر في الهجرة النبوية :**

لقد تحقق حادث الهجرة بفضل عوامل واسباب كثيرة هيأت لنجاحها وهذه العوامل نوعان : مباشرة ، وغير مباشرة .

### أ - العوامل غير المباشرة :

حينما ننظر في أمر الهجرة نجد انها نوع فذ من أنواع السياسة الاسلامية الرائعة وحكمة بالغة من حكم الرسول الخالدة ، فقد مهد الرسول صلى الله عليه وسلم

إن يوم الهجرة لهو يوم البطولة والكرامة ، ويوم المعركة الجيدة العنيفة التي نشبت بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والنور والظلام ، والايمان والكفر ، والرشد والغنى ، والشرف والفساد . « فهو يوم التاريخ والسلام ، وإنقاذ البشرية من الاستبداد والظلم ، والأهواء والأوهام ، بل هو عيد البشرية الاكبر وعيد الإخاء والمساواة ، والحرية والتضحية ، والمثل الرفيعة في حياة الناس .

لقد كان لحادث الهجرة صدى عميق في أوساط الانسانية ، وأثر بالغ في تاريخ البشرية ، غير وجه الحياة العتيقة ، وقلب نظام المعيشة الفاسدة ، ودفع بعجلة الانسانية نحو التقدم والازدهار ، والعلم والنور والمعرفة ، والحق

لهجرته بنشر الدعوة الإسلامية في  
أوساط يثرب - المدينة ، فكان  
يعرض نفسه عليه السلام في مواسم  
العرب كالحج وغيره على القبائل  
المختلفة يدعوهم الى عبادة الله وحده ،  
ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم  
أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين  
لهم عن الله ما بعثه به ، فكان يقول :  
« يا بني فلان ، إني رسول الله اليكم  
يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به  
شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من  
دونه من هذه الأنداد « الأصنام » ،  
وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي  
وتمنعوني ، حتى أبين عن الله  
ما بعثني به . »

ولما أراد الله إظهار دينه وإعزاز  
نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز  
موعده له ، خرج رسول الله صلى الله  
عليه في الموسم الذي لقيه فيه نفر  
من الانصار وذلك في السنة الحادية  
عشرة من البعثة ، فيبينما هو عند  
العقبة « موضع بين منى ومكة منها  
ترمي جمره العقبة لقي رهطاً من  
الخزرج ( ستة رجال ) فدعاهم الى  
الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام  
وتلا عليهم القرآن ، فأجابوه فيما  
دعا إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه  
ما عرض عليهم من الاسلام . ثم قدم  
هؤلاء القوم الى المدينة ، فذكروا  
للناس رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ودعاهم الى الاسلام ، حتى  
فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور  
الانصار إلا وفيها ذكر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

وهذه هي بيعة العقبة الاولى  
تلتها بيعتان أخريان ، فكانت بيعات  
العقبة ثلاثة خلافاً لما هو شائع أنها  
بيعتان

أما البيعة الثانية فكانت في العام  
التالي للبيعة الاولى ، بايع الرسول  
صلى الله عليه وسلم فيها اثني عشر  
رجلاً من الانصار على بيعة النساء  
( أي على نمطها في البنود التي بايع  
النساء عليها ثاني يوم الفتح على  
جبل الصفا ) وذلك قبل أن تفترض  
الحرب على المسلمين ، ونص البيعة  
هو « بايعوني على أن لا تشركوا بالله  
شيئاً ، ولا تسرقتوا ، ولا تزنوا ،  
ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا  
ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ،  
ولا تعصني في معروف ، فمن وفى  
منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من  
ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو  
كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً  
فستره الله ، فأمره الى الله : إن  
شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه »  
قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على  
ذلك .

فلما أراد القوم الانصراف ، بعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم  
مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم  
القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم  
في الدين ، فكان يسمى المقرئ  
بالمدينة : مصعب .

ثم في موسمهم العام التالي بايع  
الرسول صلى الله عليه وسلم في  
العقبة من أوسط أيام التشريق  
بضعة وسبعون رجلاً من أهل المدينة

في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم  
الانز الأكبر في نجاح الهجرة ، فقد  
كان يوقن أن الله سبحانه ناصره  
ومؤيده وحاميه في مسيرته وحافظه  
من أذى الأعداء وكيدهم ، لذلك كان  
يمشي بخطى ثابتة وثيدة ، لا يتردد  
ولا يتلفت اطلاقا في طريقه ، ولا يخاف  
بأسا ولا رهقا ، بل كان مستغرقا  
في قراءة قرآنه ومناجاة ربه اليه أسلم  
أمره ، واليه تصير الامور .

وإذا استعصم الانسان بالإيمان  
الخالص هانت عليه الدنيا بأجمعها ،  
وأذعنت لهيبته الجبال والانس والجن ،  
ولازمته التجارة والسلامة والامان .  
فهذا أبو بكر يحدث النبي صلى الله  
عليه وسلم عن خطر أرساد قريش  
الذين وصلوا الى الغار فيقول :  
« لو نظر احدهم تحت قدمه لرآنا »  
فيجيبه صلى الله عليه وسلم :  
« يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله  
ثالثهما » .

### ٣ - التضحية والإيثار :

لقد قارنت الهجرة ضروب نادرة  
من أمثلة التضحية والإيثار في شخصيات  
علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق  
وعبد الله بن أبي بكر .

ففي ليلة الهجرة أسر محمد الى  
علي كرم الله وجهه أن يتسجى برده  
الحضرمي الأخضر وأن ينام في فراشه ،  
وأمره أن يتخاف بعده في مكة حتى  
يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده  
للناس ، وجعل فتية قريش ينظرون  
من ثقب الى مكان نوم النبي ، فيرون  
في الفراش رجلا ، فتطمئن نفوسهم

« وإذ يجرك بك الذين كفروا ليشبتوك  
أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون  
ويمكر الله ، والله خير الماكرين » أي  
المدبرين ، ونزل قوله عز وجل أيضا  
« إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه  
الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في  
الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن ،  
إن الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه  
وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة  
الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله  
هي العليا ، والله عزيز حكيم »

### وأما حادثة سراقه : فهي أن

فريشا أرسلت العيون والأرساد  
للبحث عن محمد وصاحبه ، وجعلوا  
جائزة لمن يعثر عليهما مائة من النوق ،  
فامتطى سراقه فرسه ، وتدجج  
بسلاحه ، طمعا في المغنم ، وانطلق  
يبحث عن الرجلين حتى أرهق فرسه ،  
ثم رآهما في ظل ضخرة من بعيد ،  
فشد على فرسه ، فما كان من الجواد  
الإ أن كبا كيوه عنيفة وساخت أقدامه  
في الرمال ، فخاف سراقه والقي في  
روعه أن الألهة مانعة منه ضالته ،  
هنالك استنجد برسول الله ، فوقف  
ونادى القوم : أنا سراقه بن جعشم ،  
انظروني أكلتمكم ، فوالله لا أريكم ،  
ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه .  
فانتظره محمد وأبو بكر ، فطلب  
سراقه من الرسول أن يكتب له يكون  
آية بينه وبينه ، ثم رجع سراقه وكنتم  
الخبر . هذه معجزة خارقة أيضا  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

### ٢ - عقيدة الإيمان الكامل :

لقد كان لعقيدة الإيمان الكامل

إلى أنه باقى لم يفر . و في هذا ضرب من التضحية من علي إذ أن القوم قد يضربون من في الفراش دون تثبيت أو عند الخروج من المنزل ، والنفوس إذا غلبت الدماء فيها واحمرت الاعين لا تكاد تميز .

وأما أبو بكر صديق الرسول فقد ضحى بروحه حينما طلب من الرسول أن يصاحبه في هجرته ، قائلا : الصحبة الصحبة يا رسول الله . وفي الطريق كان أبو بكر يرهف أذنه يتسمع خبر الذين يلاحقونهما فيتقدم الرسول تارة وتارة يتأخر ، وتارة يمشي عن يمينه ، وأخرى عن شماله ، فيسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك ، فيقول : أذكر الرصد ، فأمشي عن يمينك ، وأذكر الرصد فأمشي وراءك . وفي الغار أصر أبو بكر أن يدخل الغار قبل رسول الله ، كي يجعل نفسه فداء له عليه الصلاة والسلام فيما إذا كان في الغار سبع أو أفعى ، أو ثقب فيسده بحجر أو ثوب يقطعته من ثيابه .

ثم إن أبا بكر قدم راكبتين للركوب عليهما في هذه السفرة وأمر ابنه عبد الله وبنته أسماء ، ومولاه عامر ابن قهيزرة راعي غنمه أن يكونوا في خدمة رسول الله في هذه السفرة الخطيرة ، أما عامر فكان يرعى غنم أبي بكر حتى إذا أمس أراح عليهما فأحتلبا وذبحا وأما عبد الله بن أبي بكر : فكان يقضي نهاره بين قريش يتسمع ما يقوله الناس وما يأمرون بمحمد ، ليقصه ليلا على النبي وعلى

أبيه . وبذلك لعب الشاب المسلم دورا ايجابيا في هذه الهجرة من أجل الاسلام وفي سبيل الله .

#### ٤ - دور المرأة في الهجرة :

لقد كان للمرأة المسلمة دور بارز في الهجرة سجله لها التاريخ في سجل الخالدين . فهذه أسماء بنت أبي بكر كانت تهيء الزاد والراحلة وتعد العدة لتلك الرحلة مع أختها عائشة ، وكانت أسماء تتردد على الغار قادمة بالطعام والشراب ، حتى إذا كان اليوم الثالث في الغار حين عرف محمد وأبو بكر أن الناس قد سكنوا عنهما ، أتاهما الدليل الذي استأجراه من المشركين وهو عبد الله بن أرقط ليدلها على الطريق ، أتاهما ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بطعامهما ، فلما ارتحلا ، لم تجد ما تعلق به الطعام والماء في رحالهما ، فشقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه ، وانتطقت بالنصف الآخر ، فسميت لذلك « ذات النطاقين » .

#### ٥ - الصبر والكفاح في سبيل

##### المبدأ :

لقد صبر محمد وأصحابه طيلة ثلاثة عشر عاما على أذى قريش واضطهادهم وفتنتهم الناس عن دينهم ، فلم يزد المؤمنين ذلك إلا اصرارا وعنادا على الثبات في سبيل المبدأ والعقيدة ، فما لانت لهم قناة ولا أظهروا ضعفا ولا استكانة ولا مهادنة في شن الحرب على مفاصد انمرب . وحينما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة أمر

تفرض لدى أهلها التطلع إلى رجل مصلح ينقدهم من خلافاتهم ويوحدهم صفوفهم ، فتعطشت نفوسهم إلى الحق ، وأشرابت أعناقهم إلى هذا الدين الجديد ، وانتظروا مقبداً صاحب الرسالة بنفوس ممتلئة شوقاً لرؤيته والاستماع إليه ، وتكهربت أفئدتهم حينما بلغهم هجرة النبي وصاحبه ، وسمعوا من رشد أمره وسحر بيانه وقوة عزيمته .

وبينما كان مسالمو يثرب ينتظرون قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، إذ صاح بهم يهودي بأعلى صوته : « يا بني قيلة - أي الانصار - هذا صاحبكم قد جاء » فخرج الناس زرافات ووحدانا لاستقباله يشهدون الأهازيج ويستعرضون موكب الرسول صلى الله عليه وسلم ويتزاحمون في رؤيته والاقتراب منه ، ويتنافس سادة المدينة في استضافته ، وأن يقيم عندهم في العدة والعدة والمنعة ، فيعتذر لهم ، ويلقي خطاباً ناقته ، ويعلن للناس : دعوها فانها مأمورة ، وجعلت الناقة تسير حتى بركت عند مرئد - موضع لتجفيف التمر - للغلامين يتيمين من بني النجار ، ونزل الرسول عنها ، وهناك رجا محمد أن يتخذ ذلك المكان مسجداً ، فبنى فيه مسجد قباء ، ثم احتمل أبو أيوب الانصاري رجل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه

أصحابه في مكة بأن يهاجروا إلى المدينة وقال لهم : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها » وكان قد سبق لثلاثة وثلاثين رجلاً من الصحابة أن هاجروا إلى الحبشة فزارا بدينهم من الفتن ، ثم رجعوا إلى مكة حينما بلغهم خطأ إسلام أهل مكة ، فلم يدخل منهم أحد إلا بأمان أو مستخفياً .

وفي أثناء هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لقي محمد وصاحبه في الطريق مشقة شديدة ، فكانا يقطعان بطون تهامة في قيظ محرق تناظلي له رمال الصحراء ، ويجتازان الجبال والوديان ، دون أن يجدوا في الغالب ظلاً يتقيان به القيظ أو ملجأ يأويان إليه إلا في صبرهما وحسن ثقتهما بالله وعظيم إيمانهما بالحق الذي أنزل الله على رسوله . وظلا كذلك سبعة أيام متتابعة .

#### ٦ - التعطش للحق والهداية :

كانت زعامة يثرب - المدينة يتنازعها قبيلتان عربيتان هما الأوس والخزرج ، ويجاورهما قبائل ثلاثة من اليهود : بنو قريظة وبنو النضير ، وبنو قينقاع ، وقد تحالف الأوس مع بني قريظة ، وتحالف الخزرج مع بني النضير وبنو قينقاع ، وكانت المنازعات والحروب تدور رحاها بين الأوس والخزرج ، ويستغل اليهود هذا الخلاف ، فيهددون العرب بأن نبينا سيظهر في هذه الأيام ، وسيبعونه ، وسيقتلون العرب . فكانت بيئة المدينة وظروفها

وسلم . وقد اشترك الرسول  
والمهاجرون والانصار في بناء هذا  
المسجد .

## ثانياً - آثار الهجرة في الحياة الانسانية :

لقد كان لحادث الهجرة الفذ  
اثر بعيد عميق في تاريخ الانسانية ،  
اعتدل فيه ميزان التاريخ الى وجهة  
جديدة ، انتهت بها السیادات  
والزعامات الفردية ، وزال الظلم  
والظفیان والتحكم ، وانتقل الحكم  
الى قيادة شعبية ديمقراطية ،  
وانطلقت شعلة النور ، وامتدت رقعة  
الاسلام ، وارتفعت راية الحق والایمان  
والتوحيد ، وهزمت فلول الشرك  
والوثنية وتردى الاوضاع الخلقية  
وفساد الحالة الاجتماعية  
والاقتصادية ، وصاح بالناس صائح :  
ايها الناس ، اليوم يبدأ تاريخ  
وينتهي تاريخ ، ليس بعد اليوم ملك  
ولا كاهن .

وها إنا نستعرض أهم الآثار  
وأبلغ العبر التي أنتجتها الهجرة في  
الحياة الانسانية :

### ١ - انتصار الفئة القليلة :

كان المسلمون مستضعفين في  
مكة ، فكانت الهجرة المحمدية ايذاناً  
بان العدد القليل اذا نصر مبدأ شريفاً ،  
وامتلاً قلبه يقينا بصحة ذلك المبدأ ،  
فان هذا العدد اوتلك الفئة القليلة  
تستطيع التغلب على الكثرة المفككة  
الضعيفة الايمان والمزيمة الصادقة  
« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة  
بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

### ٢ - العقيدة مصدر القوة :

كانت الهجرة إعلاناً بأن الصبر  
على الاذى مدة من الزمان لا يعني أن  
الله سبحانه لن ينصر المؤمنين ، فان  
العقيدة الصحيحة هي المفجر لكل  
قوة ، وينبوع كل عزة وسيادة ،  
وأساس كل مجد وحق .

والدين وأهله هم الركيزة الاولى  
لاصلاح هذا الكون وعمارته وأن  
التلاحم في سبيل الحفاظ على الدين  
أمر أكيد في شرعة الاسلام وإن ما وراء  
ذلك من مال ووطن وأهل وأرض يهون  
من أجل حماية الدين وإقامة شعائره ،  
فقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم  
موطنه وأحب بلاد الله اليه ، وهاجر  
الصحابة في سبيل الله ونصر دينه  
تاركين ما خلفوه في مكة من ثروات  
وأموال وديار وأوطان وأهل  
وعشيرة ، فكل هذه الامور وسائل  
لحفظ الدين ، فاذا اقترنت مع  
العقيدة كانت أقوى وأرسخ ، أما إذا  
تعرض دين الله لسوء ، فلا ينبغي  
الإصرار على الاستمسك بهذه  
الاعتبارات ، فقد وصف الله المهاجرين  
بالفقر في قوله تعالى : « للفقر  
المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم  
وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً  
وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم  
الصادقون » .

### ٣ - ازدواج السلطين الدينية

والمعنوية : كان من أثر الهجرة أن برزت  
شخصية الرسول صلى الله عليه  
وسلم السياسية بجانب السلطة  
الدينية ، فاستطاع أن يؤلف بين

٤ - اعلان تشريع الجهاد :

لقد صبر المسلمون في مكة على الاذى والاضطهاد والتعذيب مدة ثلاثة عشر عاما دون أن يؤذن لهم بالقتال ، وانما امرؤ بالصبر والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم كانت الهجرة الى المدينة فلم يكف المشركون عن سيرتهم العدوانية ، حتى ضجر المسلمون ، وترقبوا نزول الوحي بالاذن بالقتال ، فنزل الإذن بالقتال بعد سنة من الهجرة ، وكانت الآيات القرآنية تحمل في طياتها أسباب مشروعية الجهاد من دفع الظلم ومنع الفتنة في الدين وكفالة حرية العقيدة والموطن ، وكانت اول آية نزلت في الإذن بالحرب للرسول صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز » .

فتشريع الجهاد كأن أمرا ضروريا لمواجهة العدوان والتجدي ، ولحماية مبادئ الدعوة الجديدة ، وللحفاظ على كيان الدولة الجديدة ولإقامة المجتمع الإسلامي بصورة حية راسخة البناء شامخة الطود « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

المهاجرين والانصار ، وان يعقد معاهدة السام والامان بين المسلمين ويهود المدينة ، وان يكون نظاما حكوميا غير منفصل عن الدين ، كما تقضي بذلك تعاليم الاسلام ، فالدين والدولة متلازمان ولا انفصال بين أمور الدين وأمور الدنيا ، ومن الخطأ التبتل والانزغال عن الحياة ، ومن الخطأ أن يحسب الناس أن الدين منحصر في العبادة من صلاة وصيام ، دون اهتمام بمصالح الامة السياسية أو بقضاياها التي تمس كيانها أو بعلاقاتها الخارجية مع غيرها . فكان قيام الدولة الإسلامية في المدينة بعد الهجرة ظاهرة بارزة جديدة في تاريخ الأديان وفي عالم السياسة والاجتماع ، انقلب به تيار المدينة واتجهت به الدنيا اتجاهها جديدا ، فكانت الدعوة الدينية في السابق لا يتمكن دعائها من اقامة حكومة قائمة على مبادئها ومنهجها ، أما الدعوة الإسلامية فاستطاع رسولها محمد صلى الله عليه وسلم أن يقيم لها نظاما يستمد أحكامه منها ، وأن يؤسس مدينة مطبوعة بطابع التشريع الإلهي الذي أصبحت الحياة في المدينة مصطبغة بصفته وملتزمة بأوامره ، وسائرة في ضوء هديه وتنظيمه .

وينشده عرب مكة لهذا المعنى الجديد ، فقد عهدوا أن دعوة محمد دعوة دينية روحية ، فاذا هي تصبح روحا ومادة ، وقوة ومدنية ، واجتماعا وحكومة وسياسة .

ترهبون به عدو الله وعدوكم» .

#### ٥ - استقرار احكام التشريع

**الإسلامي** : كان التشريع في مكة متجها نحو إصلاح العقيدة ، لأنها الأساس الذي يبني عليه غيره ، وبعد الهجرة اتجه التشريع الإسلامي في المدينة نحو تنظيم حياة الفرد والجماعة في كل ناحية من نواحيها : في العبادات ، والمعاملات ، والجهاد ، والجنايات ، والموارث ، والوصايا ، والزواج ، والطلاق ، والإيمان ، والقضاء يعني أن التشريع تناول كل ما تتطلبه إقامة الدولة وماتحتاجه من قوانين دستورية ودولية ومدنية وجنائية وشخصية وتجارية . وذلك أمر ضروري لاستقرار الحياة وتنظيم علاقات الناس الاجتماعية والوجدانية .

#### ٦ - الانقلاب في مفاهيم المجتمع

**والإصلاح الجذري للحياة** : كانت مفاهيم الفرد العربي قاصرة على الاعتبارات الشخصية الخاصة ، وكانت المجتمعات القبلية مغلقة على نفسها ، وحال العرب عموما تقوم على امرين : الوثنية في الدين ، والفوضى في نظام المجتمع ، فاستطاع الإسلام بعد أن استعصم في المدينة بعد الهجرة من إحداث تغيير جذري في نظام الحياة ، ومن قلب مفاهيم الناس ، وإصلاح ما اعوج من أخلاقهم فأصبح من واجب المسلم أن يعمل لإصلاح الحياتين - حياة الدنيا ، وحياة الآخرة وأن يبذل جهده في سبيل الجماعة وأن يسعى لتحقيق

الخير والسعادة لأمته وللبشرية جمعاء . فانطلق مجاهدا في سبيل الله في أصقاع الأرض . واستبدل الإسلام آثار الجاهلية والهمجية كالقتل والنار والزنا وواد البنات بأخلاق الإسلام كالغفو والجهاد والمغفاب والعدل والوفاء والاحسان والتعاون على البر والتقوى واحترام الانسان ، وأصبح ملاك النجاة للانسان في الإسلام : الإيمان والعمل الصالح أما الإيمان فهو الايقان بوحداية الله ، وبأن رسله مبعوثون لهداية البشر ، وبأن الملائكة رسل الله وسفراءه للبشر ، وبأن الكتب السماوية وسائل اصلاح ، وبأن الله يحاسب المرء على أعماله ويجزيه إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

والإيمان أساس العمل ، ومن لا إيمان له لا ينتظر منه الاخلاص فيما يصدر عنه من عمل .

والمراد بالعمل : أن تكون تصرفات الانسان سالحة ، والأعمال أنواع ثلاثة : العبادات لتعظيم الإله والخضوع لتعاليمه ، والمعاملات لتبادل المصالح بين الناس على وجه مشروع ، والأخلاق لتطهير القلوب وتزكية النفوس ورفع مستوى المجتمع البشري وتقدم الانسانية .

#### ٧ - انتصار مبادئ التوحيد

**والحق والحرية والإخاء العام** : كانت الهجرة من أجل ما عرف بتاريخ المغامرة في سبيل الإيمان والحق والعقيدة والحرية والإخاء قوة وروعة . فقد كان الشرك ضاربا اطنابه في

ربوع العرب ، والوثنية تعشش في القلوب ، والخرافات والاهام تتربع على الافئدة ، فكانت الهجرة سلاحا بنارا في يد المسلمين مكنتهم من القضاء المبرم على فلول الشرك والوثنية ودعائم الظلم والاستعباد والفردية الممزقة الاوصال .

وانقلب المجتمع العربي رافلا بنعمة الايمان والاسلام ، وارتفعت منارة الحق والعدالة ، واستنشق الناس عبيق الحرية والكرامة ، وعرفوا ان التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك هو من اعز مقومات الانسان اذ به يسمو الانسان فلا يكون عبدا لحجر او انسان غيره . كما يقن الناس بانهم إخوة ، وأن الإخاء العام الذي جاء به الاسلام هو طريق القوة والمجد ، إذ لا غنى للانسان عن المجتمع ولا بد من التعاون مع الآخرين لتحقيق السعادة للجميع . فكانت الهجرة هي السبيل لانطلاقة المسلمين في وضع اسس الاخوة العالمية وتثبيت دعائمها على مدى التاريخ .

#### ٨ - الإسلام دين الحياة :

كانت الهجرة الى المدينة هي المفتاح الاساسي في تبلور معاني الاسلام ومبادئه ومن أهمها أنه دين الحياة ، فحينما استقر المسلمون في المدينة واطمانوا في امانها اعطوا للناس صورة مثالية رائعة للحياة الصحيحة .

فبينما كان المفهوم ان الاديان الاخرى تحمل النفوس على التقشيف

والزهد وتعذيب النفس وقطع كل العلائق الدنيوية في سبيل تزكية الروح اصبح الشائع لدى العرب وغيرهم ان الدين الجديد يتمشى مع الطبيعة البشرية والفترة الانسانية وأن الحياة مادة وروح والجسد له ميوله وغرائزه ، كما ان الروح تحتاج الى تهذيب واصلاح كذلك الفريضة تحتاج الى إرواء وإشباع ولكن وفق نظام محكم بديع . واما المال والثروة فلا يجوز احتقارهما ، وإنما دعا الاسلام الى تحري الطرق الصالحة في الحصول عليها وفي حسن استعمالهما .

وهكذا اشرفت هذه المعاني من سماء المدينة ، فكانت اسواقها تغلي بالحركة والنماء والتجارة وتبادل منتجات الزراعة مما ادى الى الانتعاش والرخاء والازدهار .

#### ٩ - الإسلام رحمة بالانسانية :

لقد عرف الناس بعد الهجرة ان الإسلام دين الرحمة المهداة للانسانية عامة ، فقد اتقدهم من برائن الجهل ، وانا لهم طريق الحياة ، وفتح لهم ميادين العلم والمعرفة ، وبواهم اعز مكانة في هذا العالم ، وصحح لهم ما احرف من عقائدهم ، ويسر للناس سبيل اعتناقه دون ارهاق ولا عنت ، ولم يكن المسلمون في فتوحاتهم عوامل هدم وتخريب ، ولا دعاة فوضى وإباحية ، ولا عناصر فتك وإبادة ، وإنما كانوا رسل خير وهداية وفضيلة ، واعلام حق وعدل ورافة وإحسان ، وقادة خير وبر

وإصلاح وعطاء .

## ١٠ - الإسلام يدعو الى الوحدة

**العالمية :** كان العرب قبل الهجرة يضيفون ذرعا بغير الديانة التي يألفونها ، فهم أسرى صنم أو وثن ، وخدم هياكل ، وعبدة طقوس وأوهام ، فلا استعداد لفهم دين آخر ، أو تقبل مبدأ مغاير .

ولكن الإسلام تمكن في الغالب بعد الهجرة بما توافر لديه من رحابة وسعة أفق أن يعلن بكل صراحة أساس الوحدة العالمية ، ويعلن لأول مرة في التاريخ أن جميع الأديان جاءت من عند الله في البداية ، وأن الله بعث النبيين في كل أمة ، وأنه ما من أمة إلا خلا فيها نذير ، ثم أوجب على المسلمين أن يؤمنوا بأبياء الله لا يفرقون بين أحد من رسله ، وقرر أن جميع الأنبياء جاءوا من عند الله بدين واحد ، ولكن خلف من بعدهم خلف بدلوا وغيروا في الدين مما أدى الى الخلاف بين الأديان (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم ، وإن الذين أورتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ) .

١١ - بقاء مشروعية الهجرة :  
يقول المالكية وبعض الفقهاء : تجب

الهجرة من كل مكان يعتبر دار حرب تكون فيه السلطة الغير المسلمين إلا عند العجز عنها ، والوطن والمال كل ذلك ملغى في نظر الشرع ، فالهجرة باقية مفروضة الى يوم القيامة ، فان بقي المسلم في دار الشرك عصي ، وأما الهجرة التي انقطعت بفتح مكة فهي القصد الى النبي صلى الله عليه وسلم . واستدلوا بقوله تعالى :  
**« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً »** .

ويرى جمهور الفقهاء أن الهجرة لا تجب إذا تمكن المسلم من إقامة شعائر دينه ، ودليلهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة :  
**« لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا »** وقال الرسول عليه السلام لصحابي : **« أقم الصلاة وآت الزكاة واهجر السوء ، واسكن من أرض قومك حيث شئت ، تكن مهاجراً »** .

هذه بعض عبر وآثار الهجرة النبوية التي تعتبر بحق أساساً في نشر تعاليم الإسلام وتبليغ الدعوة الإسلامية الى أرجاء المعمورة ، ولولا الهجرة لما كان للإسلام شأن ، ولا للحضارة الإنسانية نصيب من الإسلام .